

الصَّهْيُونِيَّة

● ترقب اليهود للمعجزة — المركز الروحي لليهود المنفى « Diaspora » جبل صهيون — أحلام اليهود في العودة الى فلسطين — الصهيونية السياسية فكرة حديثة — البحث عن أسس فلسفية — موسى هس — المسألة اليهودية — هرنزل والدولة اليهودية — خلاف يهودي حول الصهيونية — بنسكرو والحل الاقليمي — التحرر النفسي — الاحتفاء بالنفوذ البريطاني — مؤتمر بال — وايزمان يضى على الصهيونية طابعاً فلسفياً — براندايس — احدها عام — كثره يهود العالم ضد الصهيونية — توينبى وأبا ايان — معارضة عاتية ضد الصهيونية في بريطانيا وفرنسا — تحالف الصهيونية والاستعمار البريطاني — وزارة الخارجية الامريكية ضد وعد بلفور — الحرب العالمية الأولى ترجح كفة الصهيونية — النظام المصرفي الامريكى في قبضة اليهود الالمان — ابتزاز صهيونى — « Warburg » — أسرة « Herr Warburg Untermyer » — التنسيق بين براندايس ووايزمان والرئيس ويلسون — تحول امريكى رسمى لصالح الصهيونية — السناتور « J.A. Reed » يعارض وعد بلفور — الصهيونية تعد وثيقة الانتداب البريطانى على فلسطين — اللجنة الصهيونية فى القدس — وايزمان يهدد — ثورة شعب فلسطين — لجان التحقيق — بلفور فى فلسطين يرافقه بولسون نيومان — بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المشددة — المتظاهرون يرمون بلفور بالحجارة — عصبة الامم تجيز وعد بلفور ووثيقة الانتداب على فلسطين — الصهيونية تحقق اهدافها .

الصهيونية

من المعالم الشهيرة فى تاريخ اليهودية قلعة مدينة القدس القديمة المعروفة بجبل صهيون وهو معلم ارتبط فى أذهان اليهود ومثاعرهم بتاريخ عقيدتهم وذكريات ماضيهم البعيد باعتباره المركز الروحى ليهود المنفى فى ترقبهم للمعجزة التى تعود بهم الى فلسطين مرة أخرى ومنه استمدت الصهيونية الحديثة اسمها واتخذ منه دعائها أساسا فلسفيا لفكرتهم التى تسعى الى تحقيق أحلام اليهودية فى العودة الى الأرض الموعودة عن طريق العمل السياسى والنفوذ الاقتصادى والغزو الحربى والارهاب الفكرى تحت ستار مقاومة نزعة عداة السامية وذلك على نقيض المعتقدات السائدة لدى الكثرة الساحقة من يهود العالم الذين كانوا يتطلعون الى العودة من منطلق الاعتقاد فى المسيح المنتظر .

ولعل منشأ الفكرة الصهيونية فى صورتها الحديثه يرجع الى الدعوة التى تبناها ثلاثة من رواد الصهيونية الأوائل خلال القرن التاسع عشر وكان لكل منهم تصورهم الخاص للفكرة الصهيونية ، وأول هؤلاء موسى هس (١٨١٢ - ١٨٧٥) الذى حاول فى كتابه « روما والقدس » (١٨٦٢) أن يجد للصهيونية أسسا فلسفية تجعل منها مذهباً كغيرها من المذاهب التى ظهرت فى القرن التاسع عشر (١) . ويعتبر هس فى نظر الصهيونيين أول من وضع النظرية وحدد معالم الطريق للصركة الصهيونية (٢) وكان فى اعتقاده أن فرنسا - بما لها من نفوذ فى شرقى البحر المتوسط - ستقوم بمساعدة اليهود لاقامة مستعمرات تمتد من السويس الى القدس ومن ضفاف الأردن الى ساحل البحر المتوسط (٣) .

(١) ابراهيم الحارللو : الصهيونية وعداء السامية ، قسم التأليف والنشر - جامعة الخرطوم ١٩٧٠ ص ٩ .

(٢) Leo Pinsker, Auto Emancipation . The Zionist Organization of America, Washington D. C. 1944 p. 4.

(٣) L. Stein, The Balfour Declaration, London, 1961 (٣)

ثم جاء ليو بنسکر (٤) بكتابه « التحرر النفسى » الذى نشر فى برلين عام ١٨٩٢ ونادى فيه بحل اقلیمی للمسألة اليهودية قائلا : « ليس اليهود أمة لأنهم يفتقرون الى أحد المقومات الأساسية للأمة وهى العيش المشترك فى رحاب دولة واحدة . وما دام اليهود يهيمنون فى دار الشتات « Diaspora » فانهم لن يستطيعوا تحقيق آمالهم فى العيش كما تعيش الأمم . وعندما حاول اليهود الانصهار فى المجتمعات الأخرى ونبذوا — الى حد ما — قوميتهم ، لم تعترف لهم تلك المجتمعات بحق المشاركة فى الوطن على قدم المساواة ، ولكن أكبر عقبة تحول بين اليهود وبين تحقيق وجودهم القومى المستقل هى عدم احساسهم بالحاجة الى ذلك الوجود المستقل الذى استعاضوا عنه بوحدتهم الروحية بعد زوال كيانهم السياسى (٥) ثم توجه بنسکر الى اليهود بنداء لنبذ ما سماه الفكرة الخيالية التى وقرت فى أذهانهم بأن قبولهم الاستكانة فى دار الشتات هو قدرهم المحتوم (٦) .

ويمكن القول ان الفكرة الصهيونية التى تهدف الى حل المسألة اليهودية عن طريق العمل السياسى المنظم والنشاط الديبلوماسى لم تظهر الا فى نهاية القرن التاسع عشر مع ظهور كتاب « الدولة اليهودية » فى فبراير ١٨٩٦ لثيودور هرتزل (١٨٦٠ — ١٩٠٤) وانعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى مدينة بال (بسويسرا) فى ٢٩ أغسطس ١٨٩٧ .

(٤) ولد ليو بنسکر فى بولندا عام ١٨٢١ ومات فى روسيا سنة ١٨٩١ . كان طبيبا مرموق المكانة . شارك بقلمه فى اول مجلة يهودية فى روسيا ودعا الى المساواة فى الحقوق بين اليهود والمواطنين الروس وكان من دعاة الانصهار « Assimilation » ولكنه غير رأيه بعد حوادث الاضطهاد التى وقعت على اليهود فى اوديسا عام ١٨٧١ ثم تخلى عن دعوة الانصهار بعد موجة الاضطهاد التى سميت بمذابح سنة ١٨٨١ فى روسيا ضد اليهود وأخذ يدعو الى القومية اليهودية باعتبارها حلا للمسألة اتيهودية لأن الانصهار لم يعد فى نظره حلا مجديا ما دام اليهود يعيشون بلا وطن تحت مطارق عداة السامية . ومن ثم أصدر كتابه « التحرر النفسى » وأصبح فيما بعد رئيسا لجمعية احباب صهيون فى بلده .

انظر : The Universal Jewish Encyclopaedia New York

1941 Vol. 8 p. 537.

Pinsker op. cit. pp. 8 - 9 .

(٥)

Pinsker op. cit. p. 18.

(٦)

لقد كان ميلاد الحركة الصهيونية فى صورتها السياسية فى نهاية القرن التاسع عشر ظاهرة جديدة تختلف اختلافا جوهريا عن فكرة العودة كما تصورها يهود العالم حتى نهاية ذلك القرن وبداية القرن العشرين •

كانت العودة الى فلسطين قبل هرتزل أملا دينيا يتطلع اليه اليهود الى تحقيقه بفعل الارادة الالهية ولم يكن لديهم أدنى تصور لتحقيق العودة فى اطار الفكرة القومية الحديثة تحت راية الوطن القومى وحماية القانون العام • بل كانوا يرون أية مبادرة بشرية لتحقيق العودة بمجهود بشرى ضربا من الاثم (٧) •

لقد سلفت الاشارة الى المحاولات التى بذلت منذ عهد بالمرستون فى القرن التاسع عشر (انظر الفصل الثانى) لتسلك اليهود الى فلسطين تحت شعار اصلاح أوضاع اليهود فى الشرق برعاية الحكومة الانجليزية وقد ازداد هذا النشاط اليهودى بعد أن حسمت الدول الأوروبية الكبرى النزاع بين محمد على باشا والى مصر والسلطان العثمانى (١٨٣٩ - ١٨٤٠) وعادت سوريا الى دائرة النفوذ العثمانى وكان زعيم حركة التسلك اليهودى الى فلسطين موسى موننتفيور (١٧٨٤-١٨٨٥) (٨) ومن ثم شرع بالمرستون بعد تسوية عام ١٨٤٠ (معاهدة لندن) فى تنفيذ مقترحات موننتفيور ، وكان محور تلك المقترحات تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين لأن ذلك من شأنه أن يخلق لانجلترا مركزا لدعم نفوذها السياسى ورعاية مصالحها الاقتصادية فى سوريا ونشر الحضارة فى ذلك الاقليم لقاء تأييد انجلترا لمطالب اليهود أمام الباب العالى بانشاء مستعمرة يهودية فى فلسطين لأغراض التنمية الزراعية والتجارية (٩) •

Arnold Toynbee, A Study of History (Oxford (٧)
U. Press) London, 1969 Vol. 8 p. 298.

Nahum Sokolow, History of Zionism, Longmans, (٨)
London, 1919, Vol. I pp. 115 , 116 .

W. T. Young to Viscount Canning F. O. 78 / 501 (٩)
(Separate) London, 13 Jan. 1842, Enc. 1 to 29. A. M. Hyamson, =

ثم ظهرت حركة « أحباب صهيون » فى روسيا القيصرية (١٨٨٤) اثر موجة الاضطهاد التى اجتاحت اليهود فى عام (١٨٨١ و ١٨٨٢) ولكن كل هذه الحركات كانت مجرد ردود فعل لما واجه اليهود فى أوروبا الغربية وروسيا القيصرية من ضروب الاضطهاد التى عرفت بعـداء السامية .

وفى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أثارَت قضية دريفوس الشهيرة (٢٥ أكتوبر — ٢٣ ديسمبر ١٨٩٤) (١٠) اهتماما كبيرا فى العالم الأوروبى واليهودى وبلغت كراهية اليهود ذروتها فى فرنسا أثناء تلك الفترة عندما كانت الهتافات تدوى فى شوارع باريس بسقوط اليهود « a bas les juifs » (١١) وقضية دريفوس هى التى دفعت تيودور هرتزل مراسل الصحيفة النمساوية « Neue Freie Presse » الى الشروع فى اعداد كتاب « الدولة اليهودية » فى صيف عام ١٨٩٥ وبعد فترة من التردد قام هرتزل بنشر الكتاب فى ١٤ فبراير عام ١٨٩٦ بتشجيع زميله ماكس سيمين ناردو الذى أصبح ساعده الأيمن بعد مؤتمر بال ، فأثار القضية ليهودية (قضية الاضطهاد والتشرد) على نطاق واسع وقوبل كتابه بالأعراض والمنقذ فى بعض الدوائر وبالتأييد فى دوائر أخرى وأخيرا استجمع هرتزل قواه ودعا الى عقد المؤتمر

= The British Consulate in Jerusalem London 1939 Vol I, pp. 41 - 46 .

يلاحظ أن اسطورة اقامة قاعدة صهيونية فى فلسطين لنشر انحضارة ورعاية المصالح الانجليزية ضد ما سموه « البربرية الآسيوية » هى نفس الاسطورة التى ردها هرتزل فى كتابه « الدولة اليهودية » وذكرها « C. P. Scot » فى رسالته بتاريخ ١٢ نوفمبر ١٩١٤ الى لويد جورج .
انظر :

Herzl, The Jewish State Fifth Ed. London, 1968 p. 30.,

E.D. Blanche, The Balfour Declaration, Jerusalem, 1940 p. 25 .

(١٠) انظر موجز قضية دريفوس فى مجلة الرسالة (القاهرة) عدد ١١ بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٥ ص ١٢٩٠ — ١٢٩٣ للاستاذ محمد عبد الله عنان .

James Parkes, Five Roots of Israel, London, (١١) 1964, p. 26 .

الصهيونى فى مدينة « بال » عام ١٨٩٧ وتأسست المنظمة الصهيونية واتخذ المؤتمر قراره الذى جاء فيه أن الصهيونية تهدف الى انشاء وطن لليهود فى فلسطين تحت حماية القانون العام (١٢) • ويرى قادة الصهيونية أن أهمية الدور الذى لعبه هرتزل لا تكمن فى اصدار كتاب « الدولة اليهودية » بقدر ما ترجع الى قدرته على التنظيم ودعوته الى عقد أول مؤتمر صهيونى ، ذلك أن شخصية هرتزل كانت موضع نقد اذ وصفت أفكاره عن الصهيونية بالسذاجة والسطحية ووصف هو بأنه كان يجهل اليهودية وآدابها وثقافتها كما يجهل جذور الحركة الصهيونية التى سبقت دعوته •

ومع أن حركة هرتزل — كغيرها من الحركة اليهودية التى سبقتها — كانت نابعة فى المقام الأول من احساس الجاليات اليهودية بأنها أقليات مشردة ومضطهدة ، فقد حاول دعاة الصهيونية السياسية بعد مؤتمر بال أن يصفوا عليها طابعاً فلسفياً عقائدياً وزعم حايمم وايزمان أنه عندما يتحدث عن الصهيونية فإنه ينطق بلسان ملايين اليهود الذين لا يستطيعون التحدث بما تتطوى عليه صدورهم (١٣) ومن السخرية أن يدلى وايزمان بهذا الحديث الى آرثر بلفور فى عام ١٩٠٦ عندما كان يهود العالم ينظرون الى صهيونية هرتزل نظرة ارتياب ولم يكن وايزمان وحده فى هذا الادعاء ولكن كانت تؤازره حفنة من زعماء الحركة الجديدة منهم ناحوم سوكلوف (١٨٦٠ — ١٩٣٦) مؤرخ الصهيونية والناطق باسمها بعد موت هرتزل وسفيرها فى القارة الأوروبية ومنهم «أحدها عام» (١٨٥٦ — ١٩٢٧) « Asher Ginsberg » فيلسوف الحركة الصهيونية وناقدها ، ومنهم القاضى الأمريكى لوى براندايس •

ان الصهيونية فى نظر وايزمان هى قوة للحياة والابداع تسرى فى أوصال اليهود وليست حاجة عمياء فى نفس شعب مشرد يبحث عن وطن يؤويه ، ولا يوافق وايزمان على رأى هرتزل الذى يرد منشأ الحركة

Herzl, op. cit. p. 5.

(١٢)

Chaim Weizmann, Trial and Error Hamish (١٣)
Hamilton, London 1950, p. 144.

الصهيونية الى مأساة الاضطهاد والفقر والشتات (١٤) بل يردّها الى عزم الشعب اليهودى على الاحتفاظ بما سماه صفاته الخلاقة ونزعته الايجابية .

ويستطرد وايزمان فى مجال آخر فيعرف الصهيونية بأنها عزم الشعب اليهودى خلال عشرين قرنا من التشرّد على تنظيم حياته فى صورة جماعية ذات طابع خاص به وحده على أساس من العقيدة التى تربط بين خلود اسرائيل واله اسرائيل وهيمنتته على الكون ومن تلك العقيدة تنبثق آمال اليهود القومية فى العودة الى ما سماه موطنهم حيث يلتقون بعد فرقة لممارسة حياة يهودية جديدة فى أرض يهودية (١٥) .

ويخاطب لوى براندايس (١٦) الاجتماع السنوى « لفرسان صهيون » فى شيكاغو الذى عقد فى الثانى من يناير عام ١٩١٦ قائلاً : « أنكم فى رأى لا تستطيعون أن تؤدوا واجبكم اليهودى ان لم تعملوا على دفع الشعب اليهودى الى المرتبة التى تمكنه من خدمة أمريكا والعالم على أفضل وجه وهذا لا يتم الا بتحقيق الحلم الذى راودنا عصوراً طويلة وتحقيق دعوات اليهود وابتهالاتهم بأن يكون لهم

Weizmann, op. cit. p. 223.

(١٤)

Weizmann , What is Zionism, The Zionist Organi- (١٥)
zation London, Bureau, London, 1919, p. 4 - 12.

(١٦) «Louis D. Brandeis» أحد دعائم الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية وهو من أصل المانى . ولد فى عام ١٨٥٦ ونشأ وتعلم فى المانيا . كان من أشهر رجال القانون فى عصره . عينه اثنيس ودرو ويلسون قاضياً بالمحكمة العليا سنة ١٩١٦ . حمل راية الصهيونية فى أمريكا بعد أنسول نجمها فى أوروبا قبل الحرب العالمية الأولى وهو المسئول الأول عن تأييد حكومة اثنيس ويلسون لوعده بلفور ، رغم معارضة وزارة الخارجية الأمريكية . زار فلسطين عام ١٩١٩ . وهو القائل : « ان المثل العليا لأمريكا فى القرن العشرين هى المثل التى دعت اليها اليهودية منذ عشرين قرناً » وقد اختاره ويلسون رئيساً للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح .

The Universal Jewish Ency. Vol 2, p. 495.

انظر :

E. Rabinowitz, Justice L. Brandeis, N. Y. : وانظر ايضا :
1968, p. 61.

وطن مرة أخرى يمارسون فيه حياتهم اليهودية وفقا للروح اليهودية (١٧) .

أما « أحدها عام » (١٨) الذي يتمتع باحترام خاص بين قادة الصهيونية الحديثة فيرى أن الحركة الصهيونية يجب أن تستند الى العمل المثمر الذي يعنى بالكيف قبل الكم . وكان يرى أن التحرر النفسى لليهود لا يتم الا عن طريق الترويض النفسى ومن ثم كان يرى فى منظمة « أحباب صهيون » ومؤتمر بال مجرد تجمعات تفتقر الى برامج أساسية تعنى بالتربية والنهضة الروحية التى هى قوام الدولة اليهودية .

ومهمة الصهيونية فى رأى « أحدها عام » تتمثل فى بعث الروح اليهودية وتقوية العاطفة القومية التى ضعفت بين اليهود من جراء الاضطهاد المرير ، وانقاذهم من النزعة الفزدية التى تردوا فيها ، وحثهم على العمل الجاد من أجل بناء أمتهم وهذه مهمة شاقة لا تتحقق بالخطب والعمل الفردى والتعجل لاقتطاف الثمار (١٩) .

لقد أشاد « أحدها عام » بوعد بلغور ولكنه كان يرى أن الصيغة التى ظهر بها الوعد مخيبة للأمال لأنها اكتفت بذكر انشاء « وطن قومى لليهود فى فلسطين » بدلا عن النص الذى اقترحته المنظمة الصهيونية

Brandeis on Zionism (Collection) Zionist (١٧)

Organization of America Washington D. C. 1942, p. 84.

(١٨) « أحدها عام » واسمه الحقيقى « أشر جنزبرج » ، من أشهر دعاة الفكرة الصهيونية فى جيله . ولد فى روسيا عام ١٨٥٦ ومات فى تل أبيب سنة ١٩٢٧ . تميز بين أقرانه بالتعمق فى دراسة اليهودية ووضوح الفكر وبرز اسمه ناقدا للحركة الصهيونية واختلف مع قادتها فى أهدافهم ووسائلهم ، وكان له رأى خاص فى حركة استيطان فلسطين على عهد البارون آدموند روتشيد فى نهاية القرن التاسع عشر . كان يرى أن أسلوب هرتزل فى العمل لا يحقق أهداف الصهيونية وكان يوجه اهتمامه الأكبر الى تعبئة الجهود المادية والعقلية والتربية الروحية بين اليهود وهذا فى رايه يتطلب جهدا وصبرا وإناة .

The U.J. Encyc. Vol. 1, P. 135.

Achad Ha-am, Essays on Zionism and Judaism (١٩)

Leon Simon.

ترجمه عن العبرية :

G. Routledge and Sons Ltd. London, 1922 pp. 10 — 13.

(١٢ — نكبة الامة العربية)

« باعادة بناء الوطن القومي القديم لليهود » والنص الأول فى رأى «أحدها عام» غير مقبول لأنه يجعل من فلسطين وطنا لليهود والعرب على السواء !! (٢٠) ومع ذلك فانه رحب بتأييد مؤتمر الصلح فى باريس (١٩١٩) لوعده بلفور واعتبر هذا التأييد بمثابة التزام دولى •

هذه طائفة من آراء قادة الصهيونية الحديثة حول الفكرة التى اعتنقوها وعملوا من أجلها فهل تتفق هذه الآراء مع تصور الجاليات اليهودية فى العالم لفكرة العودة الى جبل صهيون وفقا لمعتقداتهم الدينية ؟ يجيب الأستاذ «أرنولد توينبى» بالنفى القاطع (٢١) ولكن الاجابة من أحد أعلام المؤرخين فى هذا القرن (الأستاذ توينبى) على هذا النحو تثير ثائرة «أبا ايان» وزير خارجية اسرائيل الأسبق فيرد عليه بمقالة تحمل عنوانا صارخا هو «هرطقة توينبى The Toynbee Heresy» ويقول أن فكرة «العودة» تعتبر فى المصادر الاسرائيلية ارادة الهية وواجبا بشريا (٢٢) • ان توينبى لم ينف أن لليهود حقا فى العودة الى فلسطين لأداء شعائرهم الدينية — وهذا حق ظلوا يمارسونه طوال حياتهم دون أن يعترض طريقهم أحد — ولكنه أنكر على الصهيونية احتلالها فلسطين بقوة السلاح واخراج أهلها منها بغير حق ونهب ممتلكاتهم على نحو ما حدث فى واقع الأمر (٢٣) وذلك تحت ستار «العودة» •

أما المصادر اليهودية نفسها فتقول ان فكرة «العودة» وارادة فى كتابهم المقدس ولكن بعض فلاسفة اليهود لا يؤمنون بعودة مملكة داوود أو اعادة بناء المعبد أو امتلاك فلسطين مرة أخرى ويرفضون رفضا

Achad Ha-am, op. cit. p. 16. (٢٠)

Toynbee, op. cit. p. 298. (٢١)

Abba Eban, The Toynbee Heresy, Israel Institute, (٢٢)

Yeshna University, New York. Address Delivered on Jan. 18, 1955.

A. Toynbee, The Middle East, Past and Present (٢٣)

An Article Published in the Arab — Israel Impasse Edited by Majidia Khadduri, Robert B. Luce Inc. Washington, 1968 p. 42.

باتا فكرة الوطن القومي لليهود •• وقد قرر مؤتمر الأبحار اليهود فى فرانكفورت (١٥ — ٢٨ يوليو ١٨٤٥) حذف الجزء الخاص بالدعاء للعودة الى فلسطين من التعاليم اليهودية • وفى المؤتمر اليهودى فى فلادلفيا (٣ — ٦ نوفمبر ١٨٦٩) ورد فى الجزء الأول من وثيقة المبادئ التى أصدرها المؤتمر أن الغرض الدينى من عودة بنى اسرائيل هو وحدة كل أبناء اسرائيل فى اعترافهم بوحداية الله • وأصدر مؤتمر « Pittsburg » (١٦ — ١٨ نوفمبر ١٩٨٥) بيانا مؤيدا لذلك جاء فيه « اننا لم نعد نعتبر أنفسنا أمة بل طائفة دينية ومن ثم فاننا لا نتوقع العودة الى فلسطين » (٢٤) وقال بعض النقاد اليهود: ان الذين أصدروا مثل هذه البيانات لم يفشروا كتابهم تفسيرا صحيحا أو أنهم كانوا يتجاهلون تعاليمه وحتى اذا سلمنا بصحة هذا النقد — وهو موضع شك كبير — فان المعارضة التى واجهتها الصهيونية السياسية ابان ظهورها وخاصة بعد صدور وعد بلفور من الطوائف اليهودية فى أوروبا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية لتنهض دليلا قويا على أن صهيونية هرتزل ووايزمان وبراندايس كانت بدعة مستنكرة فى نظر الكثرة من يهود العالم •

كانت المعارضة ضد الصهيونية قوية فى أوروبا الغربية وكان من أبرز المنظمات اليهودية التى قادت تلك المعارضة الحلف الاسرائيلى العالمى الذى تأسس فى فرنسا عام ١٨٦٠ وفيما عدا أسرة روتشيلد وعلى رأسها البارون آدموند (٢٥) كان كل زعماء اليهود فى فرنسا ضد الصهيونية •

وفى بريطانيا حمل لواء المعارضة ضد الصهيونية الاتحاد البريطانى اليهودى برياسة الدكتور « Claude G. Montifiore » وتقدم هذا الاتحاد بمذكرة قوية الى مجلس الحرب البريطانى فند فيها

U.J. Encyclopaedia Vol, 12, pp. 666 - 667. (٢٤)

James Malcolm, origins of The Balfour, Delaration, (٢٥)

(Unpublished) London, July, 1944 British Museum Reading Room Ref. C.U.P. 1247 C. 28 p. 7.

دعاوى الصهيونية، ونشر مونتفيور مع زميله « David L. Alexander » رئيس لجنة النواب من اليهود البريطانيين مقالا ضد الصهيونية فى صحيفة التايمز اللندنية بتاريخ ١٧ مايو ١٩١٧ وأثار المقال ضجة كبرى دفعت وايزمان الى الرد عليهما فى نفس الصحيفة بتاريخ ٢٨ مايو ١٩١٧ (٢٦) .

وقد حاول وايزمان فى مذكراته أن يقلل من أهمية هذه المعارضة فوصف القائمين بها بأنهم قلة من اليهود الأثرياء والرجعيين دعاة الانصهار « Assimilationists » (٢٧) . غير أن الخلاف بين الصهيونية فى بريطانيا والمعارضين لها من اليهود البريطانيين لم يكن بهذا القدر المتواضع كما زعم وايزمان . لأن الخلاف بلغ حدا دعا الى عقد اجتماع بين الفريقين فى ١٤ ابريل ١٩١٥ للحوار والوصول الى اتفاق وكان وفد الحركة الصهيونية يضم دكتور جاستر وتشلنوف وسوكولوف وجوزيف كوين وهربرت بتوبتش وتكون الوفد المعارض للصهيونية من دافيد الكسندر وكلود مونتفيور ولوسين وولف ولم يصل الطرفان الى اتفاق (٢٨) .

أما فى الولايات المتحدة الأمريكية فلم تجد الصهيونية استجابة تذكر قبل ظهور لوى براندائيس . لقد توجه هرتزل الى يهود أمريكا بدعوة فى يونيو عام ١٩٠١ يحثهم على التضامن معه لحل القضية اليهودية ويذكرهم بالعبودية التى يرسف فيها اخوانهم فى أوروبا ولكن يهود أمريكا قابلوا دعوته بالافتور ووصف بعضهم الصهيونية بأنها ازعاج لسلام الذهن وعقبة أمام استيعاب اليهود فى البيئة الديمقراطية وأنها فوق ذلك لا تتفق وولاءهم لأمريكيتهم وأنها تعيد الى أذهانهم ذكريات يودون أن يسدلوا عليها الستار (٢٩) .

Ed. D. Blanche op. cit. p. 31. (٢٦)

Weizmann, op. cit., p. 200. (٢٧)

I. Friedman, The question of Palestine, 1914 (٢٨)

— 1918, London, 1973, P. 35.

Samuel Halperin, The Political World of American (٢٩)
Zionism, Wayne State University Press, Detroit, 1961, p. 10.

أما اليهود التقليديون فنبذوا الفكرة الصهيونية لأنها لا تتفق وفكرة العودة كما وردت فى تعاليمهم الدينية وواجهت الحركة العمالية الأمريكية فكرة الصهيونية بالأعراض باعتبارها حركة رجعية (٣٠) .

ان هذه المعارضة التى أبداها يهود العالم ضد الصهيونية وضد وعد بلفور هى التى دفعت المسئولين فى الحكومة البريطانية الى اضافة بعض التحفظات فى صيغة التصريح وهى ذلك الجزء الذى نص على ألا تضار « الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى » (٣١) وفى هذا التحفظ اعتراف بخطورة تلك المعارضة .

وحتى فى الدوائر الرسمية كانت هناك معارضة لا يستهان بها ضد الصهيونية فى كل من لندن وواشنطن وباريس وكان قائدالمعارضة فى مجلس الوزراء البريطانى ضد وعد بلفور أدوين مونتاجو وهو من أصل يهودى . لقد وقف مونتاجو ضد الصهيونية منذ أن قدم هيربرت صمويل مذكرته عن مستقبل فلسطين فى يناير عام ١٩١٥ الى مجلس الوزراء البريطانى وأثار فيها أهمية فلسطين الاستراتيجية وضرورة وضعها تحت نفوذ بريطانيا بعد نهاية الحرب واقامة دولة يهودية فيها لحماية المصالح البريطانية (٣٢) . ففى رسالة وجهها فى ١٦ مارس عام ١٩١٥ الى هيربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى فند مونتاجو الزعم القائل بضرورة استيلاء بريطانيا على فلسطين من أجل الدفاع عن مصر وقال ان المصلحة الكامنة خلف هذا الاقتراح لا تعدو أن تكون آخر الأمر انشاء دولة يهودية فى فلسطين تحت الحماية البريطانية وهذه فى اعتقاده الراسخ سياسة من شأنها أن تؤدى الى كارثة (٣٣) .

وتان قادة الصهيونية فى بريطانيا يخشون أن تؤدى معارضة

Halperin, op. cit., P. 11	(٣٠)
Ed. D. Blanche op. cit. P. 8.	(٣١)
Stein, op. cit., PP. 103 — 108.	(٣٢)
I. Friedman, op. cit., pp. 22 — 24	(٣٣)

مونتاجو الى التضاء على وعد بلفور (٢٤) في مهده ولكنهم وجدوا تأييدا رسميا قويا وخاصة بعد التغيير الوزاري الذي شهدته العاصمة البريطانية اثر استقالة هربرت اسكويث رئيس الوزراء في ٥ ديسمبر ١٩١٦ واسناد رئاسة الوزارة الى دافيد لويد جورج ووزارة الخارجية اى آرثر بلفور . وكان اسكويث معروفا بأنه لم يكن من مؤيدى الفكرة الصهيونية ولا الوطن القومى لليهود بينما كان لويد جورج وبلفور من أقوى مؤيدى الصهيونية ومن أكثر المعجبين بوايزمان وقد ذكر وايزمان أن مذكرات لويد جورج توحى للقارئ بأن وعد بلفور كان بمثابة مكافأة لوايزمان لقاء المقدمة التى أسداها لبريطانيا (٢٥) . ومع ذلك فان معارضة مونتاجو كانت مصدر قلق عظيم لمؤيدى الصهيونية الذين حاولوا أن ينالوا منه بالطعن فى سلامة مقصده وذهبوا الى تفسير عدائه للصهيونية بأنه نابع من عقدة انتمائه لليهودى ومن دافع المحافظة على مركزه الشخصى ومستقبله السياسى (٢٦) ولكن يبدو أن هناك اعتبارات سياسية هامة دفعت مونتاجو الى اتخاذ هذا الموقف وهى ادراكه للنتائج الخطيرة التى قد يتمخض عنها اصدار الوعد فقد روى عنه أنه قال بعد سماعه اعلان وعد بلفور وهو فى الهند :

« لقد حاولت الحكومة (البريطانية) أن تقيم شعبا لا وجود له وأثارت قلق العالم الاسلامى بأسره دون أن يكون هنالك ما يوجب الاثارة » (٢٧) . ولا شك أن التجربة التى خاضتها بريطانيا مع العالم العربى والاسلامى بعد اعلان وعد بلفور أثبتت أن مونتاجو كان أرحب أفقا وأبعد نظراً من أقرانه فى مجلس الوزراء البريطانى الذين ساروا فى ركاب الصهيونية وذلك فضلا عن أن وجهة نظر مونتاجو فى هذا الصدد تتفق وما ذكره السير رونالد ستورز فى مذكراته (انظر الفصل الثالث) من أن السياسة البريطانية فى الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى كانت تخشى غضبة عشرات الملايين من المسلمين فى الهند

Stein, op. cit. p. 496.

(٢٤)

Weizmann, op. cit. p. 192

(٢٥)

Stein, op. cit. p. 498.

(٢٦)

Stein, op. cit. p.p. 500 - 501 .

(٢٧)

ودعاة الوحدة الاسلامية فى مصر • واذا كانت الحكومة البريطانية لم تصنع الى مونتاجو وهو يحذرنا قبل ارتكاب الخطأ فقد اضطرت الى الاستماع الى خيرة علمائها وممثلها السياسيين وهم ينحون عليها باللائمة بعد وقوع الكارثة •

لقد تحدث ممثل بريطانيا « Sir Ormsby - Gore » فى اللجنة الدائمة لثئون الانتداب سنة ١٩٣٧ عن فشل السياسة البريطانية تجاه فلسطين والعالم العربى وعن الأسس الخاطئة التى استندت اليها الحكومة البريطانية فى اصدار وعد بلفور فقال :

« كانت السياسة البريطانية فى فلسطين منذ اعلان وعد بلفور وحتى سنة ١٩٣٧ قائمة على أساس تنفيذ وعد بلفور بإنشاء الوطن اليهودى وكان مبعث هذه السياسة الاعتقاد بأن العرب واليهود سوف ينسون الخلاف بينهم فى غضون هذا القرن وينصهرون فى شعب واحد لأنهم ينحدرون أصلا من سلالة واحدة ويتصل نسبهم بابراهيم الخليل (عليه السلام) وقد أثبتت التجربة البريطانية خلال سبعة عشر عاما (١٩٢٠ - ١٩٣٧) فشل تلك السياسة القائمة على هذا الافتراض » (١٤)

ويمضى ممثل بريطانيا فى حديثه قائلا « ان سياسة القمع فى فلسطين من شأنها أن تؤدى الى الزج ببريطانيا فى صراع مع المسلمين بل فى صراع بين المسلمين من جانب وبريطانيا واليهود فى جميع أنحاء العالم من ناحية أخرى • انها لمأساة •• لقد كان العالم المسيحى فى العصور الوسطى يتخذ من اليهود موقفا لا نستطيع أن ننظر اليه بعين الرضا بينما كان العالم الاسلامى بوجه خاص يعامل اليهود معاملة ودية فى اسبانيا وفى الشرقين الأدنى والأوسط ، وعندما أخرج اليهود من اسبانيا لم يجدوا ملاذا يسكنون اليه بأعدادهم الكثيرة الا فى بغداد وغيرها من البلاد العربية • أما اليوم (١٩٣٧) فان الجاليات اليهودية

League of Nations, Permanent Mandates Comm- (٣٨)
ission Minutes of the Thirty-second (extraordinary) session
Held at Geneva, 30 - 7 to 18 - 80, 1937. Geneva, 1937, pp. 16 - 17.

فى تلك البلاد تواجه خطرا عظيما بسبب فلسطين ومن المحتمل أن تسوء العلاقات الى حد يندر بالخطر بين اليهود وبين المسلمين فى العالم كله ما لم نجد حلا لقضية فلسطين» (٢٩) .

وقال العالم البريطانى الديپلوماسى «D. G. Hogarth» « ان وعد بلفور صدر استنادا الى أفكار خاطئة ومصدر الخطأ أن الحكومة البريطانية فى عام ١٩١٧ لم تدرك أن الشعب العربى لم يعان من اضطهاد الأتراك بالقدر الذى يدفعه الى التحرر اذا كان ثمن الحرية هو الخضوع لسيطرة أجنبية جديدة» (٣٠) .

ويأخذ هوجارث على الحكومة البريطانية أنها أخفت عن العرب المعنى الحقيقى لوعد بلفور زهاء خمس سنوات فلم توضح لهم الا فى سنة ١٩٢٢ أن وعد بلفور لا يعنى سيطرة اليهود على فلسطين (٣١) ولكن هوجارث يستدرك قائلا انه « لم يكن فى استطاعة بريطانيا أن تصدر مثل هذا الايضاح فى سنة ١٩١٧ لأنها لو فعلت ذلك لفقدت تأييد الصهيونية» (٣٢) .

وفى الولايات المتحدة الأمريكية كان وزير الخارجية « روبرت لانسنج » على رأس المعارضين لوعد بلفور ونصح الرئيس ويلسون ألا يخضع لضغط الصهيونية الأمريكية (ممثلة فى لورى براندايس) لالزام الحكومة الأمريكية بتأييد الوعد وكان لانسنج يستند فى تقديم هذا النصح الى أسباب قوية منها أن أمريكا لم تكن فى حالة حرب مع تركيا وأنه ليس هناك اتفاق بين اليهود أنفسهم لانشاء وطن خاص بهم وأن وضع الأرض المقدسة تحت السيطرة الكاملة لليهود سوف يثير

League of Nations, op. cit. p. 17 (٣٦)

(٤٠) مقدمة هوجارث لكتاب :

Philip Graves, Palestine, The Land of Three Faiths, London, 1923 p. 5 - 6.

(٤١) يشير المؤلف هنا الى الكتاب الذى أصدره ونستون تشرشل فى عام ١٩٢٢ ولكن الواقع ان وعد بلفور كما فهمته الصهيونية والحكومة البريطانية كان يعنى سيطرة اليهود على فلسطين ولكن فى المدى البعيد عندما يحرز اليهود الكثرة العددية من السكان عن طريق الهجرة .

Philip Graves, op. cit. p. 6. (٤٢)

غضب الطوائف المسيحية^(٤٣) ولم يكن وزير الخارجية الأمريكي وحده ضد الصهيونية وإنما كان يقف الى جانبه الكولونيل « هاوس » مستشار الرئيس ويلسون ومن أقرب المقربين اليه وهو الذي أقنع ويلسون بالتريث قبل اعلان تأييد الولايات المتحدة لوعده بلفور وحال دون تعيين براندايس نائبا عاما فى ادارة الرئيس ويلسون^(٤٤) .

ورغم المحاولات التى بذلها سوكلوف وجيمس مالخولم مع الحكومة الفرنسية فى ابريل سنة ١٩١٧ ومقابلة سوكلوف لوزير خارجية فرنسا « ستيفن بيشون » فى ١٩ فبراير ١٩١٨ فان الحكومة الفرنسية لم تلتزم رسميا بتأييد وعد بلفور وأصدرت بيانات اتسمت بكثير من التحفظ والحذر حول سياستها ازاء فلسطين^(٤٥) ولا شك أن المنافسة بين بريطانية وفرنسا فى الهلال الخصيب واتفاقية « سايكس — بيكو » كانت من العوامل الهامة فى تحديد موقف الحكومة الفرنسية من وعد بلفور والوطن القومى لليهود . وفى مؤتمر سان ريمو (٢٠ ابريل ١٩٢٠) أعلن ممثلو الحكومة الفرنسية أن فرنسا لم تصدر أى تأييد رسمى لوعده بلفور^(٤٦) .

ولم تكن حكومة ايطاليا أقل تحفظا فى تأييد الصهيونية من الحكومة الفرنسية ولكنها استجابت أخيرا للضغط الصهيونى الذى استعان بنفوذ بريطانيا والرئيس الأمريكى ويلسون وأصدرت بيانا فى مايو عام ١٩١٨ أعدت صياغته على غرار وعد بلفور وكان ذلك بعد الرسالة التى وجهها سوكلوف الى السفير الايطالى فى لندن بتاريخ ٢٢ ابريل ١٩١٨ .

إذا كانت المعارضة ضد الحركة الصهيونية قد بلغت هذا المدى من القوة والانتساع بين اليهود أنفسهم قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى فكيف تيسر للصهيونية أن تشق طريقها الى أعلا مواقع النفوذ السياسى فى لندن وواشنطن لتحول المعارضة الى تأييد ولتصور

Stein, op. cit. pp. 593 — 594 (٤٣)

E. Rabinowitz op. cit. pp. 38 — 39 (٤٤)

Stein, op. cit., p. 590 (٤٥)

Stein op. cit. p. 592 (٤٦)

الباطل الصهيوني حقا والحق العربي باطلا ثم تملى على مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ شروطا لانتشاء الوطن القومي لليهود فى فلسطين رغم أنف الكثرة العربية فى فلسطين ورغم أنف الكثرة اليهودية التى وقفت ضد الحركة الصهيونية ؟

لا شك أن ظهور وايزمان فى لندن وبراندايس فى واشنطن وصلتهما الشخصية بالدوائر السياسية العليا فى بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية كان من العوامل الهامة فى هذا التحول لمصلحة الحركة الصهيونية . ولكن ما كان لقادة الحركة الصهيونية فى لندن وواشنطن أن يحققوا هذا النجاح لو لم تهبى لهم الحرب العالمية الأولى الظروف المواتية . كان الموقف الحربى فى الجبهة الغربية يندرج بالخطر فى عام ١٩١٦ ومطلع عام ١٩١٧ بالنظر لحلفاء وخاصة الجزر البريطانية التى أخذت تواجه خطرا متزايدا من الغواصات الألمانية وحصارا تزداد وطأته يوما بعد يوم وذلك تنفيذًا للقرار الذى اتخذته القيادة الألمانية فى يناير ١٩١٧ بتوجيه ضربة قاضية ^(٤٧) لبريطانيا قبل أن تهب الولايات المتحدة لنجدتها . ولكن الحلفاء كانوا يعانون مشكلة خطيرة داخل الولايات المتحدة الأمريكية وهى اتجاه الرأسمالية اليهودية فى أمريكا الى تأييد ألمانيا فى وقت كان الحلفاء يتطلعون فيه الى مزيد من الدعم المالى الأمريكى لتمويل الحرب .

لقد كان النظام المصرفى الأمريكى فى قبضة اليهود اذين ينحدرون من أصل ألماني ^(٤٨) وكان هؤلاء حلفاء لا يستهان بهم لألمانيا . كذلك انحاز عدد كبير من الصحف فى أمريكا وكافة الصحف المسائية تقريبا الى جانب الألمان وكان من أسباب هذا الاتجاه أن ألمانيا تحارب روسيا القيصرية التى أذاقت اليهود مر الاضطهاد وكانت روسيا تحارب فى صف الحلفاء . كان من أشهر الأسر اليهودية الألمانية أسرة « Warburg » وأسرة « Untermeyer » و«مسٹر» « Jacob Schiff » ^(٤٩)

D. Thomson, Europe Since Napoleon, p. 527 (٤٧)

Friedman, op. cit. p. 40 (٤٨)

Friedman, op. cit. pp. 42 — 63 (٤٩)

وكان « Herr Warburg » أقوى عضو فى اتحاد البنوك المركزية الأمريكية ويتمتع بنفوذ عظيم لدى وزارة الخزانة الأمريكية .

وقد أشار « Richard Gotthell » أحد الأساتذة الصهيونيين فى جامعة كولومبيا الى أثر النفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة فى رسالته المؤرخة ١١ مارس سنة ١٩١٦ الى « Lucien Wolf » قائلا « ان نفوذ اليهود الألمان من رجال المصارف واسع للغاية وحتى الصهيونيين المقيمين فى ألمانيا قاموا ببحث رفاقهم هنا — أى فى أمريكا — لتأييد القضية الألمانية » (٥٠) وكان « Gotthell » عضوا فى لجنة الحقوق الأمريكية التى تسعى الى ائفاناع الولايات المتحدة للموقوف الى جانب الحلفاء ضد ألمانيا ومن ثم أجرى «جوتيل» اتصالات مع السفير البريطانى فى واشنطن ليبدل مساعيه لدى الحكومة البريطانىة حتى تمارس نوعا من الضغط على حليفاتها روسيا لتخفف من اضطهاد اليهود حرصا على تأييد اليهود الألمان فى أمريكا لقضية الحلفاء . وفى الوقت ذاته كان السفير الأمريكى فى القسطنطينية «Mr. Oscar Straus» يقوم بنشاط مماثل ، وكان محور تلك المساعى تأمين رؤوس الأموال اليهودية نظرا لأهميتها فى تمويل الحرب وخاصة بالنسبة لبريطانية التى ظل اعتمادها على القروض الأمريكية فى تصاعد مطرد (٥١) .

لقد بدأ التحول الرسمى لصالح الصهيونية فى الولايات المتحدة الأمريكية بانتخاب لوى براندايس — وهو أيضا من أصل ألمانى — رئيسا للجنة التنفيذية التمهيدية للشئون الصهيونية عام ١٩١٤ ، وفى عام ١٩١٦ عين قاضيا للمحكمة العليا وباعتلائه منصة القضاء الأمريكى وتوثيق صلته الشخصية بالرئيس وودرو ويلسون كسبت الصهيونية عددا من الشخصيات المرموقة فى مراكز قيادية منهم «Felix Frankfurter» أستاذ القانون بجامعة هارفارد و « Julian Mack » القاضى بمحكمة الاستئناف والفيلسوف «Horace M. Kallen» والكاتب «Lincoln Kirstein» ورجل الأعمال «Nathan Straus» وصاحب

Friedman, op. cit. pp. 40 — 41

(٥٠)

Friedman, op. cit. p. 63

(٥١)

دار النشر « Ugene Meyer » ومن ثم أصبحت الصهيونية بفضل نشاط براندايس ونفوذه الرسمي والشخصي تجمعا سياسيا تفتحت أمامه أوسع منافذ الاتصال بقمة الجهاز السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية^(٥٢) وقد وضع أثر العلاقة بين براندايس وويلسون فى اختيار براندايس من قبل الرئيس ويلسون ليكون رئيسا للوفد الأمريكى فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ وكان هذا الاختيار مؤشرا نحو اتجاه ويلسون للوقوف رسميا الى جانب الصهيونية^(٥٣) كذلك وضحت علاقة فرانكفورتر وويلسون فى المراسلات التى دارت بينهما والتزم فيها ويلسون — أمام الحاح فرانكفورتر — بادراج وعد بلفور فى معاهدة الصلح •

وعندما كثف وايزمان نشاطه فى لندن مع المسئولين البريطانيين فى النصف الأول من عام ١٩١٧ لاقتناعهم باصدار وعد بلفور كان هناك تنسيق كامل بينه وبين براندايس ، فقد بعث وايزمان فى ٨ ابريل عام ١٩١٧ بتقرير واف الى براندايس تناول فيه الصعاب التى تواجهها فكرة الوطن القومى لليهود فى فلسطين وموقف فرنسا منها وناشد براندايس أن يحصل على تأييد لحكومة الأمريكية ويهود أمريكا لفكرة فلسطين اليهودية تحت الحماية البريطانية^(٥٤) •

ولعل اجتماع براندايس بالرئيس ويلسون فى ٦ مايو سنة ١٩١٧ كان استجابة لرسالة وايزمان فعى ذلك الاجتماع شرح براندايس للرئيس الأمريكى السياسة الصهيونية والمشاكل القائمة بين فرنسا وبريطانيا حول سوريا وأثرها على مستقبل الوطن اليهودى وقد أكد له ويلسون أنه يؤيد الصهيونية وأنه سيذيع بيانا فى الوقت المناسب بعد أن يعرف وجهة النظر الفرنسية وأنه يترك اعداد الخطوط العامة للبيان وصياغته لبراندايس نفسه^(٥٥) •

Halperin, op. cit. pp. 11 — 12

(٥٢)

Rabinwitz, op. cit., p. 61

(٥٣)

Weizmann, op. cit. p. 244

(٥٤)

Rabinowitz, op. cit., p. 63.

(٥٥)

وعندما صدر وعد بلفور فى ٢ نوفمبر عام ١٩١٧ كسبت الصهيونية فى الولايات المتحدة مزيدا من التأييد وتوجت مساعى براندايس بموافقة الكونجرس الأمريكى على وعد بلفور فى ٣٠ يونيو عام ١٩٢٢ وكان ذلك فى نظر الصهيونيين الأمريكين انتصارا لفكرتهم على الرأى العام الأمريكى وبشيرا بقرب ميلاد الدولة اليهودية على الرغم من أن زعامة براندايس للصهيونية اليهودية انتهت بعد ذلك بوقت قصير اثر خلافات داخلية وآلت زعامة الحركة الى وايزمان فى لندن بينما أصبحت مهمة الصهيونية الأمريكية قاصرة على جمع الأموال لفلسطين^(٥٦) وهى مهمة خطيرة .

وجدير بالذكر أن مشروع قرار تأييد وعد بلفور من قبل الكونجرس الأمريكى قوبل بمعارضة قوية من بعض أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب الأمريكى لأن القرار يمثل فى نظرهم انتهاكا خطيرا لحقوق الشعب الفلسطينى . وقاد هذه المعارضة السناتور « James A. Reed » فى اجتماعات اللجنة التى عقدت فى يومى ١٨ و ٢٠ ابريل عام ١٩٢٢ برياسة « Sterhen G. Porter » لمناقشة قرار مجلس النواب رقم ٥٢ الخاص بانتشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين^(٥٧) وقد وردت مداوولات الأعضاء فى اجتماع يوم ١٨ ابريل على النحو التالى :

مستر كوناللى « Mr. Connally » : من البديهى أن النظرية كلها تستند الى ما يدعيه الشعب اليهودى أن له حقا فى فلسطين ولكن من الواضح أيضا أن السكان الحاليين لتلك البلاد ظلوا يقطنونها منذ

Halperian op. cit., pp. 12 — 13 (٥٦)

Establishment of a National Home in Palestine, (٥٧)

Hearing Before The Committee on Foreign Affairs House of Representative Sixty — Seventh Congress second Session on H. Con. Res. 52.

Expressing Satisfaction at The Re-creation of Palestine as the National Home of The Jewish Race, Washington, 1922, pp. 36 - 41. Government Printing Office.

ترون كثيرة فهل هناك ما يعطى الأسلاف الأوائل الذين عاشوا فى تلك الأرض حقا أكبر من حق الآباء والأجداد الذين جاءوا من بعدهم ؟
مستر كوكران « Mr. Cockran » : ليس هناك نزاع بين أهل تلك البلاد • ان اقتراحك يحمل بين طياته الاجابة على سؤالك • ان أولئك اليهود لا يسعون الى امتلاك الأرض الا عن طريق الشراء •
مستر كوناللى : انهم يودون الحصول عليها بحكم الايثار الذى يريدون الحكومة أن تسبغه عليهم •

مستر ريد « Mr. Reed » : فى اعتقادى أن لنا مبدأ هو المبدأ الأمريكى ولذلك فاننى لا أرضى لكم أن تؤيدوا هذا القرار لأنه قرار لا يشبه أمريكا « Un American » ان جميع الناس سواسية أمام القانون فاذا فضل واحد منهم على الآخريين فقد انتفت المساواة أمام القانون •

الرئيس : بيدو لى من حديثك أنك تعتقد أن وعد بلفور يمثل انتهاكا خطيرا لحقوق شعب فلسطين •
مستر ريد : لتسعة أعشر شعب فلسطين • واذا لم يكن قصدى واضحا فان وجودى فى هذا الاجتماع يصبح عبثا •
الرئيس : ان اجازة هذا القرار فى رأيك تعنى ضمنا الموافقة على قرارات عصبة الأمم فى سان ريمو •
مستر ريد : بالضبط •

الرئيس : هل هذا يعنى — وفى هذه الحدود — أن الحكومة الأمريكية أصبحت ملتزمة بسياسة عصبة الأمم ؟
مستر ريد : لست خبيرا فى القانون الدولى ولكن مشروع القرار الذى تقدم به السناتور « Lodge » يذكر وعد بلفور بصورة قاطعة وهذه قرارات تسير جنبا الى جنب • اننى أعتقد أن الغرض من هذا العمل هو دفع أمريكا لتتقف مع الدول الأجنبية فى تأييدها لوعد بلفور وهذا فى رأى أمر جد خطير لأن وعد بلفور ليس أمريكيا (٥٨) •

وفى اموضع آخر من المداولات قال مستر ريد : لقد هزنى
القرار هزاً عنيفاً لأنى أعتقد أنه من الخطأ أن تؤيد بلادنا وعدا كهذا •
وانى لأذكر أن « Mr. L. Lipsky » تحدث عن تحويل فلسطين الى
وضع شبيهه بالوضع فى سويسرا ولكن الفكرة الصهيونية لا تهدف الى
ذلك قط • فالوضع فى سويسرا يختلف تمام الاختلاف ، وأضرب مثلاً
بما قاله أحد أعضاء المكتب التنفيذى الصهيونى فى فلسطين « Mr. D. Eder »
أمام احدى لجان التحقيق التى شكلها هربرت صمويل
(لعله يعنى لجنة هايكرافت) ، فقد قال دكتور « Eder » : « انه لن
يكون فى فلسطين سوى وطن قومى واحد هو الوطن اليهودى ، وأنه لن
يكون هناك مجال لمساواة العرب باليهود باعتبارهم شركاء فى هذا
الوطن » (٥٩) •

لم يصدر وعد بلفور بالصيغة المتظرفة التى اقترحتها المنظمة
الصهيونية • فقد أرادت الصهيونية أن يشتمل الوعد على نص باعادة
فلسطين لليهود باعتبارها الوطن القومى الخاص بهم وحدهم دون
سواهم ومع ذلك فان الوعد فى صورته التى صدر بها حقق للصهيونية
هذه الأمنية لأنه سلب الكثرة العربية فى فلسطين حقوقها السياسية
المشروعة ووصفها بالطوائف غير اليهودية ، وامتن عليهم بالقول أن
حقوقهم المدنية والدينية لن تضار ، وصمت صمتاً تاماً عن حقوقهم
السياسية •

واذا كانت الصهيونية لم تظفر بالصيغة التى كانت ترجوها لوعد
بلفور فقد عبات كل طاقاتها ومواردها لاعداد وثيقة الانتداب على النحو
الذى يحقق أهدافها فى فلسطين وشرعت فوراً فى ايفاد لجنة الى
فلسطين للتمهيد لتنفيذ السياسة الرامية الى انشاء الوطن اليهودى
وقررت الحكومة البريطانية فى مطلع عام ١٩١٨ تشكيل اللجنة برياسة
وايزمان وعضوية البروفسير « Sylvin Levi » رئيس الحلف الاسرائيلى
المنأوى للصهيونية وجيمس روتشيلد وجوزيف كوين ودافيد ايدر
و « Levi Bianchini » من ايطاليا وليون سيمون واسرائيل سيف

وقبلت اللجنة على مضمّن « البروفسير ليفي » الذي اختارته الحكومة الفرنسية •

يحدثنا رونالد ستورز الحاكم العسكري لمدينة القدس في تلك الفترة عن دهشته لقدوم هذه اللجنة الى فلسطين في وقت لم يتحدد فيه بعد مصير البلاد فيقول : « لقد اطلعت على برقية تلقاها كلايتون في أوائل شهر مارس عام ١٩١٨ عن قدوم لجنة صهيونية من كبار اليهود لتكون حلقة وصل بين اليهود في فلسطين والادارة العسكرية البريطانية وعجبت وعجب كلايتون معي من عدا التعجل وتساءلنا ألم يكن من الأجدي تأجيل زيارة هذه اللجنة حتى يتقرر مصير ادارة القطر بشكل أوضح ؟ ولكنها أوامر لابد من تنفيذها » (٦٠) • ويذكر ستورز أنه استقبل اللجنة غداة وصولها مدينة القدس وأن اللجنة كانت تحت رعاية الحكومة البريطانية وأن وايزمان خاطب جمعا من أهل مدينة القدس قائلا ان اليهود لم يتخلوا قط عن حقوقهم في فلسطين وأنهم اخوة للعرب تجمعهم بهم أوامر القربى وأن اليهود عائدون فقط الى بلادهم وهم ليسوا غرباء عنها ، ثم حذر وايزمان العرب من الاستماع الى الدعاية المعرضة التي تروج أن للصهيونيين مطامع في السلطة السياسية أو أنهم ساعون اليها (٦١) •

ان وايزمان الذي أدلى بهذه الأحاديث المعسولة لعرب فلسطين عام ١٩١٨ هو نفسه الذي قال :

« ان الذين أصدروا وعد بلفور لم يفكروا قط أن يتقرر مصير فلسطين والعرب يمثلون الكثرة الخالبة ، ولكن يمكن تقرير المصير عندما تصبح لليهود الكثرة العددية » وقال في موضع آخر من مذكراته : « ان مجلس الحرب البريطاني لم يهدف الى قيام دولة يهودية فورا في فلسطين دون استشارة أهل البلاد ولكن اذا استجاب اليهود للهجرة وأصبحت لهم الكثرة العددية فيما بعد فان فلسطين سوف تصبح وطننا

Storrs, The Memoirs of Sir Ronald pp. 359—360 (٦٠)

Storrs, op. cit. p. 360 (٦١)

يهوديا • هذا ولم يفكر المسئولون البريطانيون فى تقييد الهجرة بحيث يصبح اليهود فى فلسطين قلة دائمة » (٦٢) •

ويحدثنا ستورز عن سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين التى كانت تتصرف كأنها هى الحاكمة ، اذ قامت بدفع اعانات مالية لرجال الشرطة والموظفين الصهيونيين فى الادارة البريطانية كما قامت اللجنة بتوجيه عمدة مدينة القدس أن يوظف اليهود فى تشييد الطرق وهذا يعنى — فى رأى ستورز — اعفاء العمال العرب من الأعمال التى كانوا يقومون بها (٦٣) وعندما غادر ستورز مدينة القدس الى حيفا لانجاز بعض الأعمال وعاد الى القدس بعد فترة قصيرة علم من القائم بأعماله أن اللجنة الصهيونية اتصلت بسكرتيره اليهودى وطلبت منه تقريراً عن عمل المكتب وذلك أثناء غياب ستورز وكان هذا السكرتير على صلة سابقة بوايزمان (٦٤) •

كان سلوك اللجنة الصهيونية فى فلسطين مبعث حرج للمسئولين البريطانيين هناك فقد كانت مهمة هؤلاء المحافظة على الوضع القائم فى فلسطين حتى يتم تقرير مصير البلاد بصفة رسمية ولكن وايزمان كان يريد لهم أداة طيعة يسخرها لتنفيذ البرنامج الصهيونى فوراً لا سيما بعد أن تقدم الى الحكومة البريطانية بمطالب عاجلة للتنفيذ فى فلسطين ولكن الحكومة وجهت نظره الى الصعاب التى تكتنف تلك المطالب (٦٥) وكان وايزمان يطالب بحيازة الخط الحديدى بين يافا والقدس والحصول على المستعمرات الألمانية فى فلسطين وفتح باب الهجرة لليهود الى فلسطين واستقرارهم فيها وتحويل الأراضى غير المستغلة للمنظمة الصهيونية ومنحها امتياز ادارة المرافق العامة من مياه وكهرباء وخدمات

Weizmann, op. cit., p. 266 (٦٢)

Ronald Storrs : Laurence of Arabia, Zionism and Palestine, Penguin, U.K. 1941, p. 52 (٦٣)

Storrs, op. cit., pp. 51 — 52 (٦٤)

Sir L. Mallet to Dr. Weizmann Enc. 2 in 212, July, 1, 1919 . Woodward and Butler, D.O.B.F.P. Vol. 4, pp. 306 / 7 . (٦٥)

المهاتف والبرق (٦٦) وصب وايزمان جام غضبه على جميع المسؤولين البريطانيين في فلسطين ابتداء من الجنرال اللنبي وتقدم بشكاة الى الحكومة البريطانية قال فيها ان الادارة العسكرية البريطانية في فلسطين تبدى لليهود روحا عدئية واضحة وتغتنم كل فرصة للاضرار بمصالحهم والاساءة اليهم بينما يقوم هؤلاء المسؤولون بتشجيع العرب ضد اليهود ، واتهم وايزمان الجنرال كلايتون بالضعف في معالجة الموقف ووصف اللنبي بأنه مشغول بالقضية المصرية والمسألة السورية الى الحد الذي صرفه عن الاهتمام بأمر فلسطين أما « المقدم ستورز » فنال أوفى نصيب من التهم التي كالتها زعيم الصهيونية للادارة البريطانية وهدد وايزمان الحكومة البريطانية بأن براندايس في طريقه الى فلسطين وأنه سوف يطلع على الحقائق بنفسه وعندئذ سيكون الأثر فاجعا للرأى اليهودى - الأمريكى (٦٧) !! *

أما وثيقة الانتداب على فلسطين التي أجازها مجلس عصبة الأمم وأصبحت نافذة منذ ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣ فقد أعدتها المنظمة الصهيونية وهى فى جوهرها تمثل وجهة انظر الصهيونية رغم التعديلات الشكلية التي أدخلت عليها قبل اجازتها فى صورتها النهائية . ومن ثم فان القول بأن مجلس عصبة الأمم هو الذى حدد شروط الانتداب على فلسطين (٦٨) ليس صحيحا ، الا اذا كان المقصود بالتحديد الموافقة على الشروط التي وضعتها المنظمة الصهيونية بعد اخضاعها لبعض التعديل الشكلى .

Dr. Weizmann to Sir L. Mallet, Enc. 1 in 212, De- (٦٦)
legation Sioniste, Paris, June 18, 1٩19.

Woodward and Butler, op. cit., p. 303 — 305

No. 213 Note by Sir R. Graham of Gonversa- (٦٧)
tions with Mr. Samuel and Dr. Weizmann 98082/2117/44, For-
eign Office, July 2, 1919 Woodward and Butler op. cit., pp. 307—
308.

Treaty Series No. 54 (1925) Convention Between (٦٨)
United Kingdom and the United States of America Respecting the
Rights of the Two Countries and Their Respective Nationals in
Palestine, Signed, at London, Dec. 3, 1924, p. 2 . H.M.S.O., London,
1925.

ففى شهر يوليو عام ١٩١٩ فوض مستر بلفور المختصين فى الادارة السياسية للوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس وعلى رأسهم « Eric Forbes Adam » أن يبحثوا مع وايزمان وفرانكفورتز وكوهين ، وهم يمثلون المنظمة الصهيونية ، مشروع وثيقة الانتداب على فلسطين وقد أعدت هذه الادارة مشروعا تمهيدا استندت اليه المنظمة الصهيونية فى اعداد مشروعها الخاص للانتداب وأهم ما نلاحظه فى مقترحات المنظمة الصهيونية التى قدمها « Ben V. Cohen » فى ٢٤ سبتمبر عام ١٩١٩ أنها أكدت العلاقة التاريخية بين اليهود وفلسطين التى تخول لليهود المطالبة باعادة بناء فلسطين باعتبارها وطنهم القومى وليست مجرد وطن قومى (٦٩) وهذا ما لم تستطع المنظمة الصهيونية أن تظفر به فى وعد بلفور ، بل كانت المنظمة تسعى الى النص على تأكيد ما سمته « بالحقوق التاريخية » لليهود فى فلسطين بدلا عن « العلاقة التاريخية » !! وقد أجازت عصابة الأمم النص الذى اقترحته المنظمة الصهيونية ليصبح مقدمة لوثيقة الانتداب ، كما أجازت المادة الرابعة التى أعدتها وصاغتها المنظمة الصهيونية وهى تتعلق بانشاء الوكالة اليهودية فى فلسطين والاعتراف بها . وبما أن وعد بلفور اقتراح صهيونى أصلا ونصا رغم ما أجرى فيه من تعديل طفيف فى الصياغة فان المادة التى أدرج بموجبها فى وثيقة الانتداب (المادة الثانية) تعتبر أيضا من وضع المنظمة الصهيونية وينطبق ذلك بالمثل على المادة السادسة من وثيقة الانتداب (تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين) لارتباطها بانشاء الوطن اليهودى وتمثل المواد الثلاث المذكورة ، بالاضافة الى الديباجة أهم المرتكزات التى بختت عليها وثيقة الانتداب على فلسطين (٧٠) . بل يرى وايزمان أن الديباجة كانت أهم فقرة على

No. 299 Memo, By Mr. Forbes Adam (Paris) (٦٩)
385/3/3/19140, September, 26, 1919 Woodward and Butler, op. cit., p. 428.

(٧٠) راجع مشروع المنظمة الصهيونية لوثيقة الانتداب ومشروع انوفد البريطانى فى :

Appendix to No. 299, Chapter V, Palestine Mandate, Woodward and Butler op. cit., pp. 429 - 438.

الاطلاق في وثيقة الانتداب (٧١) ، وكانت تلك الوثيقة بمثابة الدستور الذي اهدت به الادارة البريطانية في حكم فلسطين واستند اليها كتاب الصهيونية في ايهام الرأي العام العالمي أن الصهيونية انما استمدت حق السيادة على فلسطين بموجب الانتداب وهو وثيقة دولية !! وفي ذلك يقول فرانكشتاين « انه لا يحق لأحد غير اليهود ادعاء السيادة على فلسطين بعد اجازة وثيقة الانتداب - لأن أصحاب السيادة السابقين على فلسطين قد انقرضوا أو تخلوا عن حقوق السيادة كما فعلت تركيا بمقتضى المادة ٣٦ من معاهدة لوزان ١٩٢٣ » (٧٢) وقد رأينا أن وثيقة الانتداب كانت من وضع المنظمة الصهيونية كما أن تركيا لم تتخل عن سيادتها على فلسطين للمنظمة الصهيونية . ويوضح أحد رجال القانون الدولي الدكتور محمد طلعت الغنيمي الموقف بصورة أكثر جلاء فيقول « أن سببين من أسباب فقد الاقليم في القانون الدولي قد توافرت بالنسبة لليهود حيال فلسطين ألا وهما : (١) الترك ، (٢) التقادم المسقط . أما حق العرب فهو التقادم المكسب وهو اكتساب الملكية بوضع اليد المدة الطويلة » (٧٣) . ويقول عن الانتداب « ان نظام الانتداب لا يترتب عليه زوال السيادة عن شعب الاقليم الخاضع للانتداب بل ان هذه السيادة بلقية للشعب المذكور وأن كل ما للدولة المنتدبة بالنسبة للأقاليم التي سُلّخت عن تركيا هو تقديم المعونة والنصح فحسب » (٧٤) .

ولكن قبل بدء نفاذ الانتداب كان هربرت صمويل يمارس سلطاته بعد تعيينه مندوبا ساميا على فلسطين وقد تسلم ادارة البلاد رسميا في أول يوليو عام ١٩٢٠ ليواجه شعب فلسطين الثائر بعد أن استنفد كافة الوسائل السلمية لاسترداد حقه المشروع وأخذت الثورات تتفجر

Weizmann, op. cit., p. 348. (٧١)

Ernst Frankenstein Palestine in the Light of (٧٢)
International Law, London 1946 p. 13.

(٧٣) محمد طلعت الغنيمي : قضية فلسطين أمام القانون الدولي ،
الاسكندرية ١٩٦١ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٥ .
(٧٤) الغنيمي : المصدر نفسه ص ١٠١ .

الواحدة تلو الأخرى وشرع صناع وعد بلغور فى حصاد ما غرست أيديهم وكلما اندلعت ثورة عربية فى فلسطين هبت الحكومة البريطانية لتتقصى الحقائق بتشكيل لجان للتحقيق فيما كانت تسميه الاضطراب وحوادث الشعب •

بدأت الحوادث فى عهد الجنرال « Louis Bols » عندما كان العرب يعترمون الاحتفال بمناسبة دينية فى ٤ ابريل ١٩٢٠ وأسفرت المعركة عن ستة قتلى من اليهود وصاح وايزمان : انها مذبحه منظمة « Pogrom » بل سماها المذبحه الأولى تحت العلم البريطانى (٧٥) ، ليعيد الى ذهن القارئ فكرة اضطهاد اليهود والمذابح التى عرفوها فى روسيا القيصرية وربما كان غرض وايزمان من هذا النواح استدرار العطف على اليهود باعتبار أن حوادث ٤ ابريل سنة ١٩٢٠ كانت امتدادا لموجة اضطهاد اليهود فى مسرح جديد هو الوطن العربى ولكن تقرير لجنة التحقيق التى شكلت لمعرفة الحقيقة لم يؤيد وايزمان بل يحدثنا فيليب جريفز المراسل لجريدة التايمز فى فلسطين أن تقرير اللجنة لم ينشر لأنه كان ينقد المنظمة الصهيونية نقدا لاذعا وينتقد سلوك بعض الضباط البريطانيين^(٧٦) وتوالت الأحداث الدامية بين عامى ١٩٢٠ و١٩٢٤ معبرة عن استتكار الشعب العربى فى فلسطين للسياسة البريطانية والتسلط الصهيونى فكانت اضطرابات يافا الأولى (أول مايو ١٩٢١) واضطرابات القدس الثانية (٢ نوفمبر ١٩٢١) وحوادث يافا الثانية (مارس ١٩٢٤)^(٧٧) وكان من نتائج ثورة مايو ١٩٢١ فى يافا تشكيل لجنة قضائية للتحقيق برئاسة القاضى البريطانى توماس هايكرافت « T. Haycraft » وقد جاء فى تقرير اللجنة أن رغبة الصهيونية فى السيطرة^(٧٨) على فلسطين كانت سببا واضحا لاثارة العرب وأيدت هذا القول لجنة التحقيق فى حوادث أغسطس عام ١٩٢٩

Weizmann, op. cit., p. 324.

(٧٥)

Philip Graves, op. cit., pp. 60 — 61.

(٧٦)

(٧٧) انظر تفاصيل هذه الحوادث فى : امين سعيد — الثورة العربية

الكبرى ج ٣ ص ٨٨ — ٩٨ •

Weizmann, op. cit., p. 349.

(٧٨)

برئاسة السير والتر شو فذكرت في تقريرها أن السبب الأساسي للاضطراب عداوة العرب لليهود بسبب خيبة آمالهم وعدم تحقيق أمنيتهم السياسية والقومية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي (٧٩) .

وكان من نتائج أحداث مايو ١٩٢١ القرار الذي اتخذته هيربرت صمويل وأعلنه على ملأ من أعيان العرب في الرملة وهو يقضى بإيقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين وقد وصف وايزمان هذا القرار وطريقة اعلانه بأنه كان صدمة لليهود في كل مكان (٨٠) .

لقد ساعدت حوادث سنة ١٩٢١ وتقرير لجنة « Haycraft » وعودة اللورد « Northcote » « A. C.W. Harmsworth » بعد زيارة قصيرة لفلسطين ، على ايضاح بعض الحقائق للرأى العام البريطانى عن قضية فلسطين اذ كانت دار النشر التى يملكها اللورد نورثكليف أكثر دور النشر نجاحا فى تاريخ الصحافة البريطانية (٨١) ، وبعد عودته من فلسطين قامت الصحف التى يصدرها ومنها « الديلى ميل » و «الايفينج نيوز » بحملة ضد الصهيونية ونادت بالغاء وعد بلفور وكان اللورد نورثكليف يرى أن الصهيونية خطر على الامبراطورية البريطانية وأنه من الجنون أن تثير بريطانيا قلق خمسين مليوناً من المسلمين فى سبيل ارضاء خمسمائة ألف يهودى (٨٢) .

ولكن البيان الذى أصدرته الحكومة البريطانية — بيان المستر تشرشل — فى حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٢ أكد عزم الحكومة على السير فى سياستها الخاطئة ازاء فلسطين ولم تر الحكومة البريطانية فى كل ما حدث سوى توتر ناجم عن سوء فهم لوعده بلفور !! يقول البيان :

(٧٩) تقرير لجنة التحقيق عن اضطرابات فلسطين التى وقعت فى شهر آب (أغسطس) ١٩٢٩ الترجمة الرسمية : مطبعة دير الروم — القدس . ١٩٣٠ . ص ١٦٧ — ٢٢٠ .

Weizmann, op. cit., p. 342. (٨٠)

The New Encyclopaedia Britannica Micropaedi, (٨١)

1976, Vol. 7, p. 401

Weizmann, op. cit., p. 351 (٨٢)

« ان التوتر الذى ساد فلسطين من حين الى آخر يعزى معظمه الى مخاوف أخذت تساور بعض طبقات السكان العرب واليهود . أما مخاوف العرب فبعضها مبنى على تقاسير مبالغ فيها لمعنى التصريح الذى أعطى بالنيابة عن حكومة جلالته فى اليوم الثانى من شهر تشرين الثانى والذى يجبذ انشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين . ذلك أنه نشرت بيانات غير رسمية بأن الغاية المنشودة هى جعل فلسطين يهودية برمتها واستعملت عبارات قيل فيها « ان فلسطين ستصبح يهودية كما ان انكلترا انكليزية ^(٨٣) فحكومة جلالته تعتبر هذه الآمال غير قابلة للتحقيق وتعلن بأنها لا ترمى الى مثل هذه الغاية ^(٨٤) ثم يمضى البيان مؤكدا التزام الحكومة البريطانية بوعده بلفور وزيادة عدد الطائفة اليهودية فى فلسطين بالمهاجرة ^(٨٥) .

ان بيان المستر تشرشل يثير العجب والرتاء معا لأنه يؤكد أن الحكومة البريطانية لم تع الدرس بعد .

لقد زار هربرت اسكويث رئيس الوزراء البريطانى الأسبق فلسطين فى شتاء سنة ١٩٢٤ وأدلى عقب عودته بحديث يجعل بيان شرشل احدى سخريات هذا القرن قال اسكويث « ان العرب يمثلون ثلاثة أرباع سكان فلسطين ويبلغ عدد اليهود نحو عشر السكان ووصف القول بتحويل فلسطين الى وطن قومى لليهود بأنه لا يعدو أن يكون خيالا جامحا كما كان دائما ^(٨٦) ولكن وايزمان يشكك فى صحة النتائج التى خلص اليها اسكويث من زيارته لفلسطين استنادا الى أن بلفور قد زار فلسطين أيضا بعد اسكويث ببضعة أشهر واستخلص

(٨٣) هذا التقدير من ابتكار وايزمان فى تعريفه لمعنى الوطن اليهودى فى فلسطين وقد ذكره مرارا فى مذكراته كما أكده لوزير الخارجية الامريكية روبرت لانسنج فى مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ انظر :
Trial and Error P. 305

(٨٤) بيان الخطة السياسية فى فلسطين الذى أصدره مستر تشرشل فى حزيران سنة ١٩٢٢ ، الذيل الخاص لتقرير لجنة وانتر شو للتحقيق عن اضطرابات آب ١٩٢٩ ص ٢٦٥ .

(٨٥) المصدر السابق ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

Weizmann, op. cit., pp. 193 — 194

(٨٦)

نتائج تختلف تمام الاختلاف (٨٧) . ويعنى وايزمان أن بلفور عاد من فلسطين وهو أكثر ايماناُ بانشاء الوطن القومي لليهود فيها ، وفى هذا القول اشارة الى ما ذكره بلفور لوايزمان بعد انتهاء الزيارة بأنه « كان سعيدا بوجه خاص أن يرى المستعمرات اليهودية المزدهرة التى تنهض دليلا على سلامة وقوة الوطن القومي النامى » (٨٨) ولكن الميجر بولسون نيومان المراسل الحربى الخاص للصحف البريطانية فى القدس والذى شهد زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ يعطينا صورة تختلف تماما عن تقرير وايزمان . يقول مستر نيومان : ان بلفور وصل اللد فى ٢٥ مارس ١٩٢٥ يرافقه وايزمان وسوكولوف ومنتدوب عصبة الأمم فقابله العرب بالمقاطعة وتظاهر ضده الطلاب . وأعلن الاضراب العام فى جميع أنحاء فلسطين وكان اضرابا ناجحا وأوصدت المتاجر أبوابها وظهرت الصحف العربية مجللة بالسواد ورفعت الأعلام السوداء احتجاجا على السياسة البريطانية الموالية للصهيونية وأقيمت الصلوات فى مساجد المدن الكبيرة كلها وندد الخطباء فى المساجد بالصهيونية ودعوا الى الاتحاد لمقاطعة وعد بلفور وعمت المظاهرات الأقاليم فامتدت الى نابلس والخليل . وكان بلفور يتحرك فى فلسطين تحت الحراسة المسلحة واستقبلته دمشق بالمظاهرات الساخبة والتهافت العدائى ، وحاصرته الجماهير العربية فى فندقه ، ورمته بالحجارة ، وقال نيومان : ان الناظر من نافذة الفندق كان لا يرى غير بحر من الطرابيش الحمراء (٨٩) .

لقد رافق نيومان مستر بلفور فى كل تحركاته فى فلسطين وسوريا ووصف نشاط بلفور واشتراكه فى الاحتفالات الصهيونية خاصة الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية فى أول ابريل سنة ١٩٢٥ وقد أبدى نيومان حسرته على سذاجة بلفور وقال عنه انه غادر فلسطين دون أن يدرك حقيقة الموقف بل خرج بتصور خاطيء بعد أن قضى كل وقته مع

Weizmann, op. cit., p. 194 (٨٧)

Weizmann, op. cit., p. 400 (٨٨)

Major E.W. Polson Newman, The Middle East, (٨٩)

اليهود الصهيونيين ولم ير من الأماكن إلا ما راق للصهيونيين أن يأخذوه إليها فلم ير فلسطين العربية ولم يعرف شيئاً عن الحياة العربية هناك ولا عن المسألة العربية بل خرج مقتنعاً بأن القضية العربية ليس لها وجود ، وهذا ما أدهش نيومان لأنه لم يتصور أن يكون رجل في مكانة بلفور بهذا القدر من ضعف الإدراك وقد كان رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية في بريطانيا العظمى (٩٠) .

وهكذا أثبتت الصهيونية قدرتها على ربط مصلحتها في فلسطين بمصالح الامبراطورية البريطانية واستغلال ظروف الحرب العالمية الأولى وضعف مركز الحلفاء في عامي (١٩١٦ و ١٩١٧) لتحقيق مآربها حتى استطاعت في أقل من ست سنوات (١٩١٤ - ١٩٢٠) أن تسترد أنفاسها وتدعم مواقعها في وجه معارضة يهودية عاتية ، فحصلت على وعد بلفور وأملت شروط الانتداب على فلسطين وأمنت ظهرها بوضع هربت صمويل على رأس حكومة الانتداب وألبست الوعد والانتداب معاً ثوباً كاذباً من الشرعية والالتزام الدولي بادراجهما في ميثاق عصبة الأمم ومعاهدة سيفرس التي تم التوقيع عليها في ١٠ أغسطس عام ١٩٢٠ (٩١) .
